## من تراب الطريق ! (٦٨٣)

# من همس المناجاة (*) وحديث الخاطر

## (١)

• لا يخطئ المتأمل فى المخلوقات التى تملأ الكون من حولنا ، إن الكائن الحىّ كيان لا نظير له فى عالم الماديات .. ينمو من داخله ويتغذى من خارجه . ونموه تغير مستمر دائب .. وفى المقابل يعود هذا النمو فيرجع متقلصًا فى عكس الاتجاه ، بتغيرات مستمرة متنوعة شكلاً وموضوعاً تمضى فى إيقاع سريع أو متباطئ حتى لحظة الختام .. وهى الموت الذى ليس منه بد!

تشهد ذلك فى بذرة النبات ، فمنها تنبت الشجيرة وتنمو إلى أوجها وتمتد فروعها وثمارها أو أزهارها وأوراقها فى كل اتجاه ، تلحقها الشيخوخة فتجف وتضمر وتعود فتدخل فى الذبول والتخشب شيئًا فشيئًا ثم تسرع إلى نهايتها فتموت وتصير خشبة جافة تسقط وتتحلل بفعل الحشرات وعوامل التعرية!

ويستحيل على الشجرة أن ترى نفسها على أى نحو فى البذرة التى نبتت ونمت منها ، ولا فى أى طور من أطوار ذلك النمو .. بالرغم من أنها - أى

(*) المال فى ١٢ /٢٠١٣/١١

الشجرة ـ أنتجت بلايين البذور المشابهة وذرتها حواليها أو أسلمتها للرياح تنثرها إلى مصيرها المجهول ، إذعانًا لمراد تلك القدرة التي أنشأتها.

- قد تختلط رغبات " الأنا " في تحقيق ذاتها ، أو تلتحق ـ صدقًا أو تبريرًا ـ بالغايات العامة ، وقد يكون وراء هذه النزعة ، رغبة غريزية في التصدر والقيادة والأهمية ، مقرونة بقدر كثير أو قليل من الحرص الغريزى على إشباع الرغبة الذاتية فى الوجاهة بأقل ما يمكن من الجهد والمشقة والمخاطر ، وبأكثر ما يمكن ضمانه من الأمن والدعة والعافية !

ومهما يكن من أمر هذه النزعة التى قد يخالطها تضخم الذات ، أن اعتيادها يحيى لدى كثير من الناس إحساسًا كاذبًا بالعلم والخبرة والجدارة والتفوق ! ويخلق لديهم شعورًا طفوليًا صبيانيًا بأن تغيير أوضاع الحياة وتحويلها وتشكيلها سهل ويسير ، وأن كلاً منهم بمقدوره أن يكون «طبيب الملايين » .. الذين يترقبون التشخيص والعلاج والإصلاح على يديه!

- من تمام شكر الله على العافية ، الصبر على البليّة .
- قال أحد الصوفية :

قلة الحرص والطمع ، تورث الصدق والورع ..

وكثرة الحرص والطمع ، تورث كثرة الغم والجزع !

* * *

• المسلم السوى لا يفتنه شيء من زخارف الدنيا ، ولا يعنيه أن يمنحه الناس صيتًا أو مجدًا ، أو حتى أن يعرفوا وجوده ، لأن الناس فانون، والله تعالى وحده حيّ لا يموت .

المسلم السوى يتوحد مع الكل .. يعى أن نفحة الله ـ تعالى ـ فيه هى للكل ومن أجل الكل ، لا تهمّه صدارة ولا قيادة ولا وجاهة ولا أبهة .. يدرك أن الصورة الإسلامية الحقيقية إنما توجد مع وجود المعنى الجامع وهو الله ـ عز وجل ، وبالولاء المطلق لله عز وجل ، وفيه وبه لا تنشد النفس سوى رضائه سبحانه الذى تتضاءل وتتلاشى أمامه مغريات المكانة والتصدر والوجاهة!!

• لم يفطن الآدمى الفرد ـ حتى الآن ـ إلى أن إرادته وحدها وعقله وحده، لا يكفيان لتغيير مصيره أو مصير محيطه .. وأن ذلك يستلزم أن يكون محيطه فى حالة خاصة تجعله مستعدًا لقبول هذا التغيير واعتناقه ـ ولو بعد مقاومة تقصر أو تطول ! وأن هذه الحالة ظرف لا غنى عنه لاجتذاب وتشجيع ذوى النوايا الطيبة الصادقة للانضمام إلى الحماس المستبسل الصادق للخروج من وهدة الحيرة والسلبية التى تراكمت أسبابها بمضى الزمن وتراكمات السنين ، والمساهمة الفاعلة المؤثرة الراشدة فى نهر الحياة .. بدون هذا الاستعداد لدى المحيط ، وتكريسه ورعايته ، لا تنفع سلطة ولا قوة أيًا كانت فى نهضة المجتمعات ، لأن الإعراض الداخلى للمحيط ـ يحول دون وصول التغيير إلى أعماق الناس ، ويجعل جميع المحاولات هشة متساقطة لا تصمد لمقتضيات وأسباب ودوافع وآمال الترقى الذى يرنو إليه العقلاء .

• من أقوال إبراهيم بن أدهم :

ما بالنا نشكو فقرنا إلى مثلنا ، ولا نطلب كشفه من ربنا .. هل يتأتى أن يحب عبدٌ عبدًا لدنياه ، وينسى ما فى خزائن مولاه ؟!

- قال بعض العارفين :

أثقل الأعمال فى الميزان أثقلها على الأبدان .

ومن وَفّى العمل ، وُفِّى الأجر .

ومن لم يعمل رحل من الدنيا إلى الآخرة بلا كثير أو قليل !

- إذا بات الملوك على اختيارهم ، فبت انت على اختيار الله لك ، و ارض به .
- سئل لقمان الحكيم عما بلغ به الحكمة ، قال :

لا أسأل عما قد كفيت ، ولا أتكلف ما لا يعنينى .

* * *

## من تراب الطريق (٦٨٤)

# من همس المناجاة (*) وحديث الخاطر (٢)

• قد ضاق بفضل النشر والإذاعة والتليفزيون الفضائى والأرضى، وبفضل الصحف والمطبوعات التى ليس لها حصر والتى يتبادلها ويتناقلها العالم أجمع ـ .. ضاق نطاق العالم الحالى فى نظر البشر، ولم يعد يعرف السكون أو السكوت ولا العد أو الحصر، فبات الملايين ومئات الملايين ـ ممن لا يسكت أو يهدأ من القائلين والمرددين والمحتجين والموافقين ـ .. باتوا متأثرين بجهود أجهزة الإعلام التى لا تنقطع ليلاً أو نهارًا بما يثير أو يقلق أو يهيج أو يخيف أو يحزن أو يلهى أو يغرى عامة الناس وخاصتهم .. وقد اعتادوا على ذلك وألفوه لأنهم ألفوا نوعًا من يقظة عجيبة صاخبة مشوشة متدفقة بخليط من الامتداد: أحلامًا وأوهامًا وإثارة وجبنًا وضحكًا وحزنًا وقلقًا وإغراء ولهوًا !!

• من الحكم العطائية: « الوارد يأتى من حضرة قهار، لأجل ذلك ـ لا يصادمه شىء، إلا دمغه (بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) »

• أمام جثمان الإسكندر، وقف حكيم من الزمن الأول يقول :

---

(*) المال فى ١٣ /١١/٢٠١٣

« كان الملك يعظنا فى حياته ، وهو اليوم أوعظ منه حيًّا » !!

وعن هذا المعنى قال أبو العتاهية :

« وكانت فى حياتك لى عظات

وأنت اليوم أوعظ منك حيًّا »!

• من سنن الله تعالى فى كونه أن جعل الخير فى النهاية ، وجعل الآخرة خيرًا من الأولى ، والنهايات أكمل من البدايات . وهو سبحانه القائل لرسوله المصطفى : « وَلَلآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الأولَى » .

* * *

• عقولنا التى نتيه بها اليوم وكل يوم ، وندعى فى الغالب أننا نعتمد عليها فيما تنتهى إليه ـ ما زالت مجرد خدم مستخدمة لإرضاء عواطفنا وشهواتنا المستبدة المتحكمة فينا .. فى إرادتنا وقراراتنا وتصرفاتنا واختياراتنا وعلاقاتنا الخاصة والعامة . كل آدمى استخدم ويستخدم وسيستخدم عقله وعقل غيره إن احتاج ، ولكن يستحيل أن يخضع ذاته للعقل فى جميع الأحوال دائمًا أو غالبًا .. لأن خضوعه الدائم أو الغالب لعقل غيره ، معناه أنه فقد ذاته ، وخضوعه الدائم أو الغالب لعقل نفسه معناه أنه فقد آدميته بفقد عواطف آدميته فلم يعد بشرًا !

• من الحكم العطائية : « كيف يحتجب الحق بشىء ، والذى يحتجب به، هو فيه ظاهر ، وموجود حاضر !؟ »

• بئس من يذكرك بالسوء فى غيابك ، ويلاقيك بالبشر والثناء !

• لا جدوى من معاتبة المَلول ، فإما تغير ما بينكما ، أو حل التكلف والتصنع محل ما كان يجمعكما من مودة !

• مَنْ لا يقدر على الصفح ، ندر أن يبقى له صديق !

* * *

• العقل من نعم الخالق ـ جل شأنه ـ التي يميز بها البشر على الحيوان والنبات ـ بإمكانية النمو المتواصل فى اليقظة والإدراك والفهم والمعرفة والارتقاء للفرد فى الجماعة وفى تطوير الحياة نحو الإنسانية الكاملة .. وهو كغيره من النعم مؤهل أيضًا لينقلب أداة لانتكاس وانحطاط وسقوط الآدميين المقدر عليهم ذلك ! .. إذ هى نعم يقابلها الآدمى ويدركها ويلمسها فى مراحل رقيه ، مثلما يقابل الآدمى حتمًا الحد الحاد لكل منها فى ظروف وعوامل ودواعى انحداره ..

• من الحكم العطائية : « لا تيأس من قبول عمل ـ لم تجد فيه وجود الحضور ، فربما قبل من العمل ـ ما لم تدرك ثمرته عاجلاً » !

• قال حكيم من الزمن الأول : جالست الناس خمسين سنة ، فما جالست أحدًا إلاّ وهو يحب أن تنقاد الناس لهواه ، وإن الواحد منهم ليخطئ، فلا يرضيه إلاّ أن يخطئ الناس جميعًا !

• لا تأمن لواشٍ نمّام ، فمن نقل إليك نقل عنك . وقديماً قال شاعر حكيم :

من نَمَّ فى الناس لم تُؤْمن عقاربه

على الصديق ، ولم تُؤْمن أفاعيه !

فالويل للعهد منه ، كيف ينقضه

والويل للودّ منه . كيف يفنيه !

• لا تسع لخطب ود من يزهد فيك ، فهذا من عماء البصيرة وقصر الهمة !

* * *

• نحن جميعًا إلى اليوم وإلى مستقبل ـ لم نفطن إلى غرابة أننا نعيش ـ غالبًا ـ فى سلام ، ونموت فى ظل أوهام ألفناها .. هى أوهام السلطة والمقام والمكانة والأصالة والنفوذ والغنى فى ظل أوهام مقابلة ألفناها أيضًا هى مصطلحات العامة والأوساط والعاديين والجمهور وأهل الحرف والعمالة ، وقد يضاف إليها أهل الافتقار والحاجة ! .. ذلك لأننا جميعًا لا نريد حتى الآن وإلى مستقبل ، ولا نقبل برضاء تام وإخلاص كامل ـ أن نسلم بأننا متساوون كأناسى حتمًا وأصلاً وماضيًا ومستقبلاً قبل وبعد أن نفترق هذا الافتراق الخيالى إلى سادة وعبيد أو إلى خاصة وعامة .. فهذه التفرقة جهالة من الجهالات التى كان على النوع البشرى أن يمر بها منذ بدايته إلى أن يبلغ كمال الوعى بإنسانيته فيحرص على حمايته وحفظه بكل ما لديه إن كتب له هذا الكمال إتماماً لتمييزه عن أنواع الحيوان والنبات !!

• من الحكم العطائية : « لا تزكين واردًا لا تعلم ثمرته ، فليس المراد من السحابة ـ الإمطار ، وإنما المراد منها ـ وجود الأثمار » !

- قال أحد الصوفية فى الزمن الأول : ما يقف البشر على بُعد غَوْر قول الله تعالى : « وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي » (سورة طه الآية ٣٩) .. فإن فى هذه الكلمات ما لا يُبْلَغ كنهُه ، ولا يُنال آخرُه . ولو أن أرق الناس لسانًا ، وألطفهم بيانًا ، أراد أن يسبر حقيقة هذا القول ـ لعاد حسيرًا ونكص مبهورًا وبقى عاجزًا .
- أحيانًا ما لا تصيب سهام السم إلاّ راميها !

* * *

## من تراب الطريق ! (٦٨٥)

## من همس المناجاة [*] وحديث الخاطر (٣)

• بين الجنسية وبين الديانة والملة فوارق ، أوضحها أن الجنسية على الأقل فى العصر الحاضر ، لا تستلزم التبعية لديانة أو ملة معينة كأصل عام، وأنها بصفة عامة تتسع لأصحاب الديانات المعترف بها ولغيرهم من المواطنين ، كما أنها لم تعد تستلزم الانتماء لعنصر معين أو لون معين أو لغة معينة .. لأن معنى الجنسية هو الانتماء لوطن معين لتوفر الولاء له عند جميع المواطنين في السراء والضراء.

• من علامات العقل ، أن العاقل لا يحدث من يخاف تكذيبه ، ولا يسأل من يخاف منعه ، ولا يعد بما لا يقدر على إنجازه ، ولا يرجو من لا يستقيم رجاؤه فيه ، ولا يُقْدم على ما يخاف العجز عنه !

• قال بعض حكماء الزمن الأول :

من لا إخوان له فلا أهل ولا سند له ..

ومن لا أولاد له ، فلا ذكر فى الغالب له ..

ومن لا عقل له ، فلا دنيا له ولا آخرة ..

ومن لا مال له ، فلا شيء له !!

---

(*) المال فى ١٤ /١١/٢٠١٣

• الحصيف الحازم لا يأمن عدوه :
إن كان بعيدًا ، لم يأمن غارته !!
وإن كان قريبًا ، لم يأمن وثبته !!
وإن كان منكشفًا ، لم يأمن كمينه !!
وإن رآه وحيدًا ، لم يأمن مكره !!

• للقلب أمراض لا تصح للسالك إلى الله طريقه ، إلاَّ إذا نفضها عنه وتخلص منها .. من هذه الأمراض غلبة أحكام الطبع ، والوقوف مع المعتاد ، والانقياد إلى هوى النفس ، والأنس بعالم الحس !

• من زاد فى الخُلق ، زاد فى الصفاء .

* * *

• توافر الولاء شرط تستلزمه الجنسية كما تستلزمه الديانة أو الملة ، لكن الشارع قد يفترضه افتراضًا إذا وجدت شرائط خارجية يراها المشرع كافية لوجوده دون ما حاجة إلى التحقق من توافره فعلاً لدى هذا الفرد أو ذاك .. وقد تتعدد الجنسية فى بعض الأنظمة فينتمى الشخص لأكثر من جنسية فيحمل فى نفس الوقت جنسية أو جنسيات لغير دولته الأم ، على أن الدولة لا تلتزم فى معاملة من ينتمى إلى جنسيتها - إلاّ بإعمال قوانينها هى ، ومثل هذا الوضع قد يكون نادرًا فى الانتماء للديانات والملل ، ويفترض وجود الولاء اللازم للجنسية بمجرد الميلاد لأب يحملها ، وفى بعض الأحيان بمجرد الميلاد من أم تحملها ، كذلك فيمن تتزوج أو يتزوج من زوج أو من زوجة .. فيكتسب الجنسية بالزواج إما فورًا أو بعد انقضاء فترة على قيام

الزوجية يحددها القانون . كما تكتسب جنسية الدولة بالإقامة العادية فيها لمدة محددة بشروط عامة للجميع ، كما قد تمنح الجنسية من الدولة لقاء خدمات استثنائية ، ويفترض الانتساب للديانة أو الملة بميلاد من يولد لأب ينتسب لها أو لأم تنتسب إليها ، كما يفترض ذلك الانتساب للقيط الذى يوجد أو يعثر عليه بين ظهرانى أهل الديانة أو الملة ، وينتقل إلى الديانة أو الملّة ويدخل ضمن أتباعها من يقوم بالإقرار علانية باعتناقها بالصيغة المقررة وبالطقوس المرسومة إن كان لذلك صيغة أو طقوس .

- قال واحد من أئمة الصوفية : « التوكل حال النبى ﷺ ، والكسب سُنّته .. فمن بقى على حاله ، فلا يتركن سنته »
- خمول الذكر خير من سوء السمعة وخدمة الذكرى !
- من يقع فريسة الشيطان ، يرغبه فى الدنيا حتى يظن أنه لا شىء غيرها، حتى إذا تكدر عيشه ، وتنغصت فى الدنيا حياته ، نظر فلم يجد له فى الآخرة نصيبًا !!!
- من أحسن الكلم كلام رسول الله ﷺ :
- « إذا رأيت هوًى مطاعًا ، وشحًّا متبعًا ، ودنيا مؤثرة ، وإعجاب كل ذى رأى برأيه ، فعليك بخويصة نفسك » .

* * *

## من تراب الطريق ! (٦٨٦)

# من همس المناجاة (*) وحديث الخاطر (٤)

• الولاء لكل من الوطن والديانة والملّة ، معظمه مبنى على افتراضات وأمور ظاهرية خارجية عامة صرف ، ترى السلطة القائمة على شئون المجتمع ، أن وجودها يكفي لاعتبار الشخص كبيرًا أو صغيرًا صاحب حق فى حيازة الجنسية أو التبعية للديانة أو الملة المعنية المقصودة ، بغير احتياج إلى بحث أبعد من ذلك فى مجال التحقق من وجود وثبوت وقدر الولاء الفعلى لدى كل فرد من أفراد الأمة أو الديانة أو الملة .

هذا الواقع ليس جديدًا ، ويبدو أنه تخطيط سياسى محصن لم يكن منه بد .. تصب بموجبه مجاميع الأفراد فى مواصفات عامة تكون معروفة للحكومة مقدمًا ، ويمكن لأنظمتها وقضاتها وعمالها ضبط تلك المجاميع من جهة سلوكها الذى ترى الحكومة أنه يهمها بنحو أو بآخر ، بغض النظرعن العلاقة الباطنية الفعلية التى تربط الشخص أو لا تربطه كسلوك بالوطن أو الديانة أو الملّة .

• من نزل به الفقر والفاقة ، ولم يستعن بالإيمان والصبر - لا يجد بدًّا من ترك الحياء !

ومن ذهب حياؤه بادت كرامته وذهب سروره ..

---

(*) المال فى ١٨ /١١/ ٢٠١٣

ومن ذهب سروره جفت ينابيعه وكثر مقته ..

ومن سبقه إلى الناس مقته ، سبق إليه أذاهم !

- قال البسطامى سلطان العارفين :

« حسب المؤمن من عقله أن يعلم أن بالله غنى عن عمله » .

- لا تعنف بمن يسألك الرأى والمشورة ، فالرفق فى تبصيره أحفظ له وأقرب إلى ترشيده .

- فارق كبير بين مودة الأخيار ومودة الأشرار :

مودة الأخيار سريع اتصالها ، بطىء انقطاعها ..

ومودة الأشرار ، سريع انقطاعها ، بطىء اتصالها ..

* * *

- من الطفولة والسذاجة أن نحتقر المعرفة غير المطلقة ، أى غير الصحيحة الصادقة فى كل زمان ومكان ـ كما كان يفعل الأقدمون .. فلا يوجد فى إمكان الآدميين ، مهما دققوا وحققوا ، شىءٌ له هذا الوصف فى عالم البشر ودنياهم ، لأن عالمهم ودنياهم مسايرات لاستعداداتهم طبيعتهم ومحيطهم ، وهما دائمًا التحول والتغير والتطور بلا انقطاع ، ولا يوجد فيهما أى عنصر ثابت ثباتًا أزليًا أبديًا . وبقاء كل ما فيهما ـ هو بقاء نسبى ينتهى بعضه فى لحظة وبعضه فى دهور وأحقاب قد تطول إلى الآلاف والملايين من الأعوام .

- من آداب المناجاة :

إلهى أنا الفقير فى غناى ؛ فكيف لا أكون فقيرًا فى فقرى ؟

إلهى وأنا الجهول فى علمى ؛ فكيف لا أكون جهولاً فى جهلى ؟
إلهى ما ألطفك بى مع عظيم جهلى ، وما أرحمك بى مع قبيح فعلى ؟
إلهى ما أَرْأَفك بى ؛ فما الذى يحجبنى عنك ؟
إلهى هذا ذلّى ظاهر بين يديك ..
وهذا حالى لا يخفى عليك ..
منك يا الله أطلب الوصول إليك ..
وبك أستدل عليك ..
فاهدنى بنورك إليك ..
وأقمنى بصدق العبودية بين يديك .

- طوبى لمن كان همه همًا واحدًا ..

فلم يشغل قلبه بما رأت عيناه . . ولا بما سمعت أذناه.

- قال حكماء الزمن الأول : الأمور مرهونة بأوقاتها ، ولكل مقام مقال .
- نية العارفين واحدة وإن تعددوا .. فقلوبهم جميعًا قد ارتحلت إلى الله تعالى ووجدوا الطريق إليه ، فصارت على قلب واحد ، ونية واحدة .

* * *